الفصل الثاني

الوقف والمنشآت الدينية

تميزت المدينة الإسلامية بعمارة المساجد والجوامع المختلفة الحجم والتصميم؛ لما للمساجد من دور أساسي في حياة المسلم بكافة نواحيها ومكوناتها ومطالبها، ولا عجب إذاً أن يكون أول شيء فعله رسول الله ﷺ عندما وصل مهاجراً إلى المدينة المنورة هو بناء مسجد، مؤكداً بذلك على أهمية المسجد بالنسبة للفرد المسلم وللأمة الإسلامية، ومبرهناً على اعتبار المسجد وما يدور فيه هو المنهج للحياة الإسلامية.

هذا من ناحية أهمية المسجد في حياة المسلم، أما من ناحية دوره في عمران المدينة الإسلامية، فقد كان المسجد هو بؤرة المدينة وفي مركزها بالنسبة للمدن الإسلامية التي خططت في العصر الإسلامي[1]، كما انتشرت مباني المساجد في كافة أرجاء ومناطق المدينة الإسلامية، بل كانت المنارات الخاصة بالمساجد هي علامات مميزة يهتدي بها السائر في حركته داخل المدينة وإلى المسجد، بشكل يتشابه به مع كون المسجد هو مركز الهداية ومقصد العبادة بالنسبة للمسلم.

---

(١) مازال هذا الفكر التخطيطي سائداً في تخطيط بعض المدن الإسلامية المعاصرة؛ إذ يحتوي قلب المدينة على المسجد الجامع، كما يحتوي كل حي سكني في مركزه على مسجد جامع أيضاً، بجانب المساجد الأخرى التي تنتشر في الأحياء السكنية وتخدم المناطق السكنية المجاورة، وتتوزع على مسافات سير في حدود المقياس الإنساني.

وبجانب المساجد والجوامع، عرفت المدينة الإسلامية الكثير من المنشآت الدينية الأخرى؛ مثل: المدارس، والخوانق، والربط، والزوايا، وهذه المباني وإن كان لكل منها وظيفته المحددة، إلا أنه أقيم في معظمها منبر كما أقيمت فيها الصلوات، بجانب أن منشئيها أو واقفيها قد رتبوا فيها من الموظفين من يقوم بأمر الشعائر الدينية، ويبدو أن ذلك الوضع جعل المؤرخين يدخلون في حسابهم عند الكلام عن المساجد هذه الأنواع الأخرى من المنشآت الدينية(٢).

ولم يقف الواقفون عند وقف الأوقاف على المنشآت الدينية كمباني عامرة فقط، بل امتد الأمر إلى ترتيب ما يحتاجه كل منها من أدوات وبشكل خاص الوظائف، فكان هناك وظائف مرتبة للمسجد أو الجامع أو الخانقاة أو الزاوية مثل: الإمام، والخطيب، والمؤذنين، والعمال، وغيرهم، بما يضمن استمرار المنشأة الدينية الموقوفة في أداء وظيفتها على الوجه الأكمل.

كما اهتم الواقفون بترتيب الفراغات المعمارية في المنشأة الدينية الموقوفة بما يكفل لها القيام بدورها، فبجانب الفراغات الرئيسة المتمثلة في فراغ المسجد أو المدرسة أو الخانقاة أو الزاوية المخصص للصلاة (بيت الصلاة)، وما يحتاجه كل فراغ من هيئة معمارية ومكونات تشكيلية، فقد راعى بعض الواقفين مثلاً ترتيب سكن للمؤذن، فتذكر أحد الوثائق "وعلى يمنة الإيوان المذكور بيت برسم الخطيب". كما كان يوجد ما يسمى "خلوة الخطبة" وهي عبارة عن حجرة معدة لوضع الملابس الخاصة بالخطيب. كما رتب الواقفون ما تحتاجه المنشآت الدينية من حاجات أخرى كالشمع الذي كان يستخدم في الإضاءة، فنصت بعض وثائق الوقف على أن "يصرف الناظر في ثمن أربع

---

(٢) محمد محمد أمين، *الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م دراسة تاريخية وثائقية*، مرجع سابق، ص١٨٢.

موكبات من الشمع الأبيض المسبول على القطن المفتول، زنة كل موكبة عشرة أرطال بالمصري، فمن ذلك موكبتان توضعان في محراب القبلة المباركة، وموكبتان توضعان في محراب الإيوان الكبير القبلي من المسجد الجامع، يوقد ذلك وقت صلاتي العشاء والصبح وصلاة التراويح في شهر رمضان، وكلما فرغت الموكبتان المذكورتان استبدل الناظر عوضهما، من ريع الأوقاف المذكور بعد بيع الأعقاب الفاضلة منها"[٣].

(٢,١) المساجد

نال الوقف على إنشاء المساجد والإنفاق عليها، جل اهتمام المسلمين وعنايتهم الخاصة منذ عهد النبوة، حيث كان أول وقف في الإسلام هو مسجد قباء الذي أسسه النبي ﷺ حين قدومه إلى المدينة المنورة، ثم المسجد النبوي الذي بناه الرسول ﷺ في السنة الأولى من الهجرة، ثم انتشر بناء المساجد والوقف عليها في عهد الخلفاء الراشدين، وفي عهد بني أمية وبني العباس وفي عهد الفاطميين أيضاً والدولة العثمانية. فلم تكن المساجد في كل البلاد الإسلامية إلا مساجد وقفية[٤].

وقد بلغت الأوقاف على المساجد مبلغاً عظيماً، ويرجع ذلك لفضل المسجد في الإسلام والرغبة في نيل الثواب والصدقة الجارية. ومما يجدر قوله في مجال ارتباط الوقف بعمارة المساجد اعتبار التقائهما بالآخر في مجال الصدقة الجارية؛ فالمسجد هو صدقة جارية لمنشئه ولكل المساهمين فيه، وكذا الوقف فهو بالأساس صدقة موصولة ومستمرة للواقف.

---

(٣) المرجع السابق، ص ص ١٨٧، ١٨٨، ١٩٧.

(٤) محمد بن أحمد الصالح، *الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع*، مرجع سابق، ص ١٧٢.

وكان المسجد محوراً رئيساً لسياسة الوقف، سواء من حيث إنشاؤه، أو الصرف على مصالحه ومهماته وعمارته ومرماته، أو من حيث ترتيب من يقومون بإمامة الناس في الصلاة، والخطابة والأذان، والاهتمام بنظافة المسجد، وتوفير المياه اللازمة له، وكذلك الإضاءة، أو من حيث إلحاق منشآت أخرى بالمسجد، كدور المناسبات أو المؤسسات التي تؤدي بعض الخدمات، وخاصة في مجال التعليم والصحة والرعاية الاجتماعية(٥).

يقول بنعبد الله عن علاقة الوقف بالمساجد: "وتعتبر مؤسسة الوقف أهم مورد مالي رُصد لحياة المساجد ليستمر بكل ما يتعلق بالشئون الإسلامية ودور تحفيظ القرآن الكريم وأن يؤدي الوعاظ والخطباء دورهم في تنمية معاني الخير والحق وبيان روعة الإسلام ومعالجته لمشكلات الحياة وقضايا الناس .. فهذه المؤسسة كانت - وما تزال - أهم مورد لشئون الدين والتعليم الإسلامي على الإطلاق، وأكثرها دخلاً وإدراراً وإليها يرجع الفضل في بقائه واستمراره أحقاباً وقروناً وفي انتظام الحياة العلمية والدراسية في جامعات الإسلام وكلياته"(٦).

وحتى يقوم المسجد الجامع بأداء وظيفته التي أنشئ من أجلها، فقد كان الواقف يعين له من يقوم بأداء شعائر الصلاة فيه من إمام يؤم المصلين، وخطيب يقوم بالخطابة وإمامة المصلين في الصلوات الجامعة ومؤذنين وقراء للقرآن، والذين كانت تختلف أعدادهم باختلاف قدرات الواقف(٧).

---

(٥)محمد بن أحمد الصالح، *الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع*، مرجع سابق، ص ص ١٧١، ١٧٢.

(٦)عبد الرحمن الضحيان، "الأوقاف ودورها في تشييد بنية الحضارة الإسلامية"، *ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية*، ص ٤٨٩.

(٧)محمد عبد الستار عثمان، *نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة*، مرجع سابق، ص٢٠٥.

ومما يدل على اهتمام الواقفين بالوقف على المساجد، وكثرة الوقف في هذا المجال الخيري، ما "ورد في وثيقة الجامع الأعظم بالجزائر خلال العصر العثماني والتي جاء فيها أن عدد الواقفين على هذا الجامع حوالي ٤٢٠ واقفاً منهم ١١٦ امرأة، وأن عدد الأملاك الموقوفة على هذا الجامع بلغت ٢٧٣ وقفاً: منها ١٢٥ منزلاً، و٣٩ حانوتاً، و٣ أفران، و١٩ بستاناً، و١٠٧ إيراد. ومنها ما كان يصرف على الوظائف الخاصة بالجامع، ومنها ١٩ أستاذاً و١٨ مؤذناً و٨ حزابين و١٣ موظفاً كانوا يشرفون على نشر وتنشيط الوعي الديني"[٨].

ومما يدل أيضاً على كثرة عمران المساجد بفعل الوقف؛ فإنه كان في سيرلانكا ما يقرب من ٤١ مسجداً موقوفاً، وفقاً لإحصائيات ١٩٥٦م[٩]. أما عن مساجد الصلوات الخمس والتي أنشئت من مال الأوقاف في مصر، فقد قال عنها القلقشندي أنها "أكثر من أن تحصى، وأعز من أن تستقصى"[١٠]. ومما يدل على كثرة الأوقاف على الجوامع أيضاً، أن الجوامع التي أسست للعبادة ولتلقين علوم القرآن والحديث واللغة في ربوع المغرب بأموال الوقف، تعد بعشرات الآلاف[١١].

ومما يجدر قوله عن حرص الواقفين على الوقف على عمارة المساجد، أنه في مصر وحين توقف الوقف الأهلي بموجب القانون رقم ٤٨ لسنة ١٩٤٦م، توقف

---

(٨)عبد الله بن سليمان الباحوث، "الوقف والتنمية الاقتصادية"، *مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية*، مكة المكرمة، شعبان، ١٤٢٢هـ، ص ١٥٣.

(٩) Marsoof, S., *Awqaf Experience in Sri Lanka*, Awqaf, No. 6, Year 3, Kuwait Awqaf Public Foundation, Kuwait, June 2004, p.9

(١٠)محمد محمد أمين، *الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م دراسة تاريخية وثائقية*، مرجع سابق، ص ص ١٨١- ١٨٢.

(١١)محمد الحجوي، "الجوامع والمدارس والزوايا والخزانات التي ازدهرت بمال الوقف في المغرب"، *مجلة أوقاف*، العدد٧، السنة الرابعة، الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، نوفمبر ٢٠٠٤م، ص ٩٦.

الوقف الخيري تباعاً وأحجم الناس عن الوقف الخيري، ولم يبق من الوقف الخيري إلا وقف المساجد، وما يوقف عليها[١٢].

(٢,١,١) الحرمين الشريفين

لم تقتصر الأوقاف على الحرمين على جهة معينة، حيث كانت هناك أوقاف في المملكة العربية السعودية، ومصر، وفي اليمن، وفي مدينة صيدا، وفي تونس، وفي الجزائر، والمغرب[١٣].

وأول وقف عربي من الأراضي والبساتين على الحرمين كان وقف أبي بكر المارداني، فقد حبس أراض له على الحرمين الشريفين وبعض جهات البر[١٤]. كما قام السلاطين المماليك بواجبهم تجاه عمارة الحرمين الشريفين، وخاصة السلطان قايتباي الذي حج عام ٨٨٤هـ وزار المدينة المنورة، فوقف بنفسه على أحوال الحرمين الشريفين من حيث عمارتهما، ومن حيث أحوال السكان هناك، والخدمات المقدمة للحجاج والزوار، فأقام داراً لإطعام الفقراء مجاناً كل يوم، وأنشأ أسبلة المياه، وعندما رجع إلى مصر أوقف الكثير من الدور والمزارع وخصص ريعها للإنفاق منه على خدمة الحرمين الشريفين والفقراء فيهما ولعمارتهما، تقرباً إلى الله عز وجل بالأعمال الصالحة[١٥].

أوقف صلاح الدين الأيوبي، عام ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م، ثلث ناحية سنديس من القليوبية، وبلدة نقادة بقوص، على أربعة وعشرين خادماً لخدمة المسجد النبوي

---

(١٢)الإمام أبو زهرة، *محاضرات في الوقف*، مرجع سابق، ص٣٨.

(١٣)محمد بن أحمد العكش، "تجربة الأوقاف في المملكة العربية السعودية"، *مجلة أوقاف*، العدد٤، السنة الثالثة، الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، مايو ٢٠٠٣م، ص ١٠٩.

(١٤)الإمام أبو زهرة، *محاضرات في الوقف*، مرجع سابق، ص١٣.

(١٥)عبد اللطيف بن عبد الله دهيش، *عمارة المسجد الحرام والمسجد النبوي في العهد السعودي*، دراسة تاريخية حضارية، الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٩٩٩م، ص٢٨٦.

الشريف، وكان ذلك لما رأى أن بني الحسن الذين تغلبوا على الحجاز يجهرون عند الآذان بشعار أهل الشيعة، فعمل على استمالتهم وأغدق عليهم الأموال والهدايا، حتى سمحوا له بأن يجعل على المدينة المنورة جماعة من قبله، فقرر بها الخدام، وجعل عليهم شيخاً من الخدام وهو بدر الدين الأسدي[١٦].

وفي العصرين المملوكي والعثماني تضاعفت الأوقاف على الحرمين الشريفين، وتسابق السلاطين والأمراء والوجهاء في هذا الميدان. وكان من أعظم هذه الأوقاف في العصر المملوكي، وقف السلطان الأشرف شعبان بن حسين (المتوفى سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٦م) على الحرمين الشريفين، فقد أوقف عشرة قرى من قرى سوريا والأردن وفلسطين، وقد حددت الوثيقة كيفية صرف عوائد هذه القرى على مكة والمدينة وطريق الحج. كما كان ممن أوقفوا على الحرمين من السلاطين؛ السلطان صلاح الدين الأيوبي (المتوفى سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م)، والسلطان محمد بن قلاوون (المتوفى سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م)، والسلطان الظاهر برقوق (المتوفى سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م)، والسلطان الأشرف برسباي (المتوفى سنة ٩٤١هـ/١٤٣٧م)، والسلطان قايتباي (المتوفى سنة ٩٠١هـ/١٤٥٩م)[١٧]. فقد اشترى السلطان الملك الصالح بن الناصر قلاوون من بيت المال قرية بيسوس ووقفها على كسوة الكعبة في كل سنة، وعلى كسوة الحجرة النبوية والمنبر النبوي مرة كل خمس سنين[١٨].

---

(١٦) محمد محمد أمين، *الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م دراسة تاريخية وثائقية*، مرجع سابق، ص ص ٦٢- ٦٣- ٦٦

(١٧) محمد بن أحمد العكش، *تجربة الأوقاف في المملكة العربية السعودية*، مرجع سابق، ص ١٠٨.

(١٨) محمد محمد أمين، *الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م دراسة تاريخية وثائقية*، مرجع سابق، ص١٠٥.

كما تنوعت الأوقاف على الحرمين في العهد العثماني ومنها ؛ وقف الدشيشة الكبرى (وهي حساء يصنع من بر مدقوق لإطعام أهالي الحرمين)، ويعد هذا الوقف أكبر وأضخم ما وقف على الحرمين، حيث ضم الوقف ما يقرب من خمسين قرية. وهناك كانت أوقاف كسوة الكعبة أيضاً[١٩]، حيث أوقف السلطان سليمان خان على الكسوة الشريفة، كما جاء في نص وثيقة الوقف التي أوردت أهم الأوقاف "ومنها جميع القرى الثلاث المسماة: بيسوس، وأبو الغيث، وحوض بقمص الواقعة بالولاية المصرية التي كان حصل منها في السنة الواحدة مبلغ تسعة وثمانين ألف درهم. ومنها جميع القرى السبع الواقعة في الولاية الشرقية بالديار المصرية، أولها قرية سلكه كان حصل منها في تلك السنة مبلغ ثلاثين ألف درهم وأربعمائة درهم وستة وتسعين درهماً. وثانيها قرية سرو بجنتمه وحاصلها فيها مبلغ واحد وسبعين ألف درهم وثمانية وعشرين درهماً. وثالثها قرية فريش الحجر حاصلها فيها مبلغ إحدى وخمسين ألف درهم وثلثمائة درهم وأربعة دراهم. ورابعها قرية منايل وكرم ريحان، وحاصلها فيها مبلغ سبعة وثلاثين ألف درهم وثمانية وأربعين درهماً. وخامسها قرية بحبام حاصلها فيها أربعة عشر ألف درهم وتسعمائة درهم وأربعة وثلاثين درهماً. سادسها قرية منية النصارى، وحاصلها فيها مبلغ ستين ألف درهم وثمانية وخمسين درهماً. وسابعها قرية بطالية وحاصلها فيها مبلغ عشرة آلاف درهم وأربعمائة درهم وأربعة وثمانين درهماً يكون جميع النقود مبلغ ثلثمائة ألف درهم وخمسة وستين ألفاً ومائة واثنين وخمسين درهماً فضياً"[٢٠].

---

(١٩)محمد بن أحمد العكش، *تجربة الأوقاف في المملكة العربية السعودية*، مرجع سابق، ص ١٠٩.

(٢٠)عبد الكريم بن محب الدين القطبي، *إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام*، ط١، الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ، ص ص ١٧١- ١٧٣.

لقد كان للأوقاف على الحرمين الشريفين أهدافاً عدة، فهي لم تقتصر على بنية المسجدين كما هو الحال في بقية المساجد، ولكن ارتبط بما يحتاجه أداء المناسك من تيسير طرق القوافل وإمدادها بالخدمات اللازمة، بجانب كل ما يضمن سلامة القوافل.

هذا بجانب الدور الروحي الذي كانت تلعبه الأوقاف على الحرمين، فقد عكست هذه الأوقاف عملية نقل الروابط الوجدانية بين المسلمين من المستوى العاطفي إلى المستوى العملي، ومن ثمَ مثلت الترجمة العملية لوحدة الأمة وتماسكها. وعن ذلك يكتب ناصر السعيدوني أن أوقاف الحرمين في الجزائر العثمانية، على سبيل المثال، كانت عبارة عن رباط قانوني تؤكد من خلاله الجزائر العثمانية انتماءها للأمة الإسلامية، وهي كذلك رمز للأخوة الإسلامية، حيث يضيف الكاتب أن "حصة الحرمين من ريع هذه الأوقاف كانت تمثل بالنسبة لأفراد الشعب [الجزائري] مهمة كريمة وواجب نبيل يعكس العلاقات الروحية، والثقافية، والاقتصادية بين الجزائر العثمانية من ناحية ومكة والمدينة من ناحية ثانية"(٢١).

(٢,١,٢) المسجد الأقصى

رغم أن تاريخ عمارة المسجد الأقصى، (الشكل رقم ٢,١) قديم وسابق لظهور الإسلام، إلا أنه يمكن القول بأن اهتمام المسلمين بالمسجد الأقصى قد ظهر مع بداية حادثة الإسراء والمعراج، وما ورد فيها من الآيات والأحاديث النبوية، بجانب اتخاذ القدس أولى القبلتين قبل تحول المسلمين عنها إلى بيت الله الحرام. كما تصاعد هذا الاهتمام حين فتح المسلمون القدس العربية وخلصوها من أيدي الروم البيزنطيين، وحضر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ بنفسه ليشهد الفتح، ويشاهد الصخرة الشريفة، صخرة المعراج، ويعتني بها، ويقيم مسجداً إلى جوارها ما تزال ذكراه باقية،

---

(٢١)طارق عبد الله، *عولمة الصدقة الجارية: نحو أجندة كونية للقطاع الوقفي*، مرجع سابق، ص ٣٤.

وآثار موقعه معروفة. وقد بلغ هذا الاهتمام ذروته، حين شيد الخليفة الأموي، عبد الملك بن مروان صرح المسجد الأقصى وقبة الصخرة[٢٢].

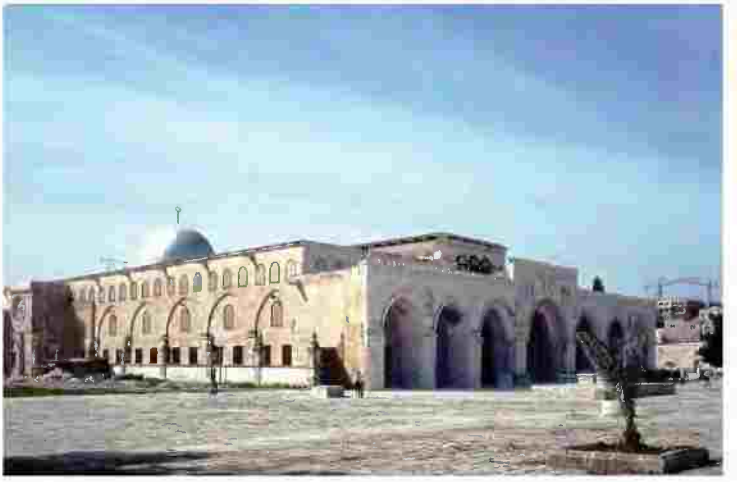

الشكل رقم (٢,١). المسجد الأقصى الحالي بساحة الأقصى[٢٣].

فبعد أن أتم عبد الملك بن مروان بناء قبة الصخرة سنة ٧٢هـ، شرع في بناء المسجد الأقصى المعروف اليوم، سنة ٩٧هـ (٧١٥ – ٧١٦م)، ولكنه لم يتم إلا في عهد ابنه الوليد، حتى قيل هو الذي بناه[٢٤]، وقد مثل هذين العملين العملاقين انطلاقة الفن المعماري الإسلامي بشكل لم يكن معروفاً من ذي قبل.

وقد كثرت الأوقاف على المسجد الأقصى من الحكام والأمراء والأغنياء. ومن الأوقاف القديمة في المسجد الأقصى، الوقف الذي أوقفه الملك الأفضل نور الدين، ابن صلاح الدين، وكان ملكاً في دمشق ٥٨٤-

---

(٢٢)عبد القادر الريحاوي، *قمم عالية (في تراث الحضارة العربية الإسلامية المعماري والفني)*، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٠م، ص ص ٨٩-٩٠.

(٢٣) عن الموقع التالي: http://ar.wikipedia.org/wiki/

(٢٤)محمد عثمان شبير، *بيت المقدس وما حوله، خصائصه العامة وأحكامه الفقهية*، ط١، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٧م، ص٩٢.

٥٩٢هـ، حيث جعل جميع المنطقة الواقعة خارج الجدران الغربية للمسجد الأقصى في القدس والمعروفة بحي المغاربة، وقفاً لمنفعة جميع المغاربة ذكوراً وإناثاً، وبجانب أن هذا الوقف كان له دوراً في البر والإحسان، فقد كان يؤدي دوراً تربوياً؛ إذ أنشأ فيه الملك الأفضل مدرسة للدراسات الدينية العليا، سميت الأفضلية نسبة إليه[٢٥]. كما كان للمغاربة أوقافاً كثيرة حول المسجد الأقصى، أوقفوها على طلاب العلم والمقيمين في المناطق المحيطة به.

(٢,١,٣) جامع عمرو بن العاص

يعتقد البعض أن جامع عمر بن العاص بالفسطاط في القاهرة، (الشكل رقم ٢,٢) هو أول وقف إسلامي في مصر الإسلامية، حيث كان هذا الجامع هو أول جامع للمسلمين بمصر، وقد تصدق به قيسبة بن كلثوم التحبيبي، فيذكر ابن دقماق عن الليث بن سعدﷺ أن مسجد عمرو بن العاص حازه "قيسبة بن كلثوم، ويكنى عبد الرحمن أحد بني سوم، ونزله في حصارهم الحصن، فلما رجعوا من الإسكندرية سأل عمرو قيسبة في منزله هذا يجعله مسجداً، فقال قيسبة "لقد علمتم يا معاشر المسلمين أني حزت هذا المنزل وملكته، وأني أتصدق به على المسلمين"، وكان ذلك عام ٢١هـ/ ٧٤١م[٢٦].

---

(٢٥)عبد اللطيف الطيباوي، *الأوقاف الإسلامية بجوار المسجد الأقصى بالقدس، أصلها وتاريخها واغتصاب إسرائيل لها*، ترجمة: عزت جرادات ، الأردن: من منشورات وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية، ١٩٨١م، ص ص ١٣- ١٤.

(٢٦) محمد محمد أمين، *الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م دراسة تاريخية وثائقية*، مرجع سابق، ص ص ٣٣، ٣٤.

الشكل رقم (٢,٢). منظور داخلي في مسجد عمرو بن العاص بالقاهرة[٢٧].

وبجانب وظيفة المسجد الدينية كمكان للعبادة، كان الجامع عبارة عن مدرسة لتلقي العلوم. فقد جاء عن محمد بن عبد الرحمن الصائغ الحنفي أنه أدرك جامع عمرو بن العاص قبل عصر الوباء الذي كان عام ٧٤٩هـ، فشاهد بضعاً وأربعين حلقة لأفراد العلم لا تكاد تبرحها، وكلها كان يصرف عليها من أوقاف السلطان الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف[٢٨]. كما وصل عدد تلك الحلقات، التي كانت تسمى بالزوايا، إلى نحو ١١٠ حلقات لعلوم المذهب السني أيام الخلافة الفاطمية نفسها، وقد ذكر ناصر خسرو عن ذلك "يقيم بهذا المسجد المدرسون والمقرئون. هو مكان اجتماع سكان المدينة الكبيرة. ولا يقل من فيه في أي وقت عن خمسة آلاف من طلاب العلم والغرباء والكتاب الذين يحررون الصكوك والعقود وغيرها"[٢٩].

---

(٢٧) Michell, G., *Architecture of the Islamic World, its History and Social Meaning*, London: Thames and Hudson Ltd, 1996, p. 127

(٢٨) فؤاد عبد الله العمر، *إسهام الوقف في العمل الأهلي والتنمية الاجتماعية*، الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، ٢٠٠٠م، ص ٢٨.

(٢٩) فريد شافعي، *العمارة العربية في مصر الإسلامية*، المجلد الأول، عصر الولاة، مرجع سابق، ص ص ٣٨٣- ٤٦٨.

(٢,١,٤) الجامع الأموي

يقع الجامع الأموي في قلب مدينة دمشق القديمة، (الشكل رقم ٢,٣). بناه الوليد بن عبد الملك، وبدأ في بنائه في ذي الحجة من عام ٨٦هـ/٧٠٥م، وقد تجلت فكرة الوليد في بناء الجامع من خلال قوله "إني أريد أن أبني مسجداً لم يبن من مضى قبلي ولن يبني من يأتي بعدي مثله"[٣٠].

أما عن عمارة الجامع، فهو يشغل أرضاً مستطيلة الشكل، طول ضلعها ١٥٦م وعرضها ٩٧م، وله صحن مستطيل الشكل واسع تحيط به أروقة من ثلاث جهات، ويقع بيت الصلاة في الجهة الرابعة، ناحية القبلة، ويبلغ طوله ١٣٩م وعرضه ٣٧م، مساوياً مساحة الصحن تقريباً. ويحتوي بيت الصلاة على مجاز[٣١] عمودي على القبلة يخترق قاعة الصلاة ويقسمها إلى قسمين متساويين، وتتقدم المحراب الرئيس قبة كبيرة الحجم، مبنية على قاعدة مربعة الشكل تتكون من أربعة أركان ضخمة، وهذه القبة تسمى قبة النسر[٣٢].

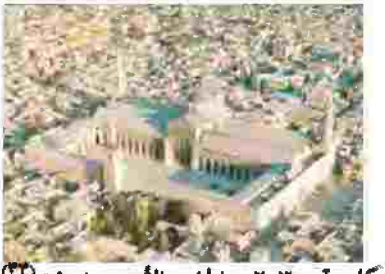

الشكل رقم (٢,٣). الجامع الأموي بدمشق[٣٣].

---

(٣٠) عبد القادر الريحاوي، *العمارة العربية الإسلامية، خصائصها وآثارها في سورية*، ط٢، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، ص ٥٥.

(٣١) المجاز: هو فرق ارتفاع منسوب سقف المبنى، ويدخل الضوء الطبيعي من هذا الفرق في المنسوب، وكان أول ظهور له في معبد الكرنك بمدينة الأقصر بمصر في العمارة المصرية القديمة، ثم انتشر بعد ذلك في الكنائس، وبعض المساجد.

(٣٢) رؤوف الأنصاري، *عمارة المساجد، دراسة في تاريخ عمارة المساجد خلال العهود الإسلامية*، ط١، دار النبوغ للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٦م، ص ٤٧.

(٣٣) علي الطنطاوي، *الجامع الأموي في دمشق، وصف وتاريخ*، ط١، جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ١٩٩٠م، ص ص ٤٩- ٥٠.

وقد أوقف الحكام والأغنياء على الجامع الأموي الكثير من الأوقاف. وفي عام ٦٩٩هـ، نظر الملك الظاهر في أوقاف الجامع الأموي وما يصرف منها لأرباب الرواتب "فمن كان منهم مستغنياً وليس به انتفاع في علم أبطله، ومن كان منهم ذا حاجة ولم يكن لديه علم رتب له على بيت المال ما يقوم به، وصرف ما كان مقرراً لمن أبطله في مصالح الجامع، وفيمن للمسلمين الانتفاع بعلمه، ورتب فيه مصحفاً يقرأ فيه بعد كل صلاة الصبح تحت قبة النسر، وأجرى على القارئ فيه كل شهر شيئاً معلوماً. وكان بصحن الجامع الأموي حواصل للمنجنيقات وحواصل للأمراء، فيها أشياء من خيم وغيرها فأمر بإزالتها، فاتسع الجامع وزاد رونقه، وتطلب كتب الوقف، وكانت قد أهمل النظر فيها، وأجرى الوقوف على شروطها من واقفيها، وإنما كان المتولي للنظر فيها يعمل بمقتضى رأيه في منعه وإعطائه، فحُملت إليه بعد ما شق على الباحث عنها وجودها، فوجدها قد تمزق القديم منها، وما كان وقفه المالك العادل نور الدين محمود ومن بعده من الملوك قد كادت كتبها تتلف، فأمر بإحياء خطوطها وإثباتها عند سائر القضاة، واجتهد فيها حسب ما اقتضته آراؤه"[٣٤].

(٢,١,٥) جامع الزيتونة

يقع جامع الزيتونة في تونس، (الشكل رقم ٢,٤). وقد اختلف المؤرخون في بانيه وتاريخ بنائه، فبينما نسبه الكثير منهم إلى عبيد الله بن الحبحاب، الذي سماه هشام بن عبد الملك الأموي والياً على إفريقيا، سنة ١١٠هـ (٧٢٨- ٧٢٩م) وقيل سنة ١١٦هـ/٧٣٤م، فقد ذهب آخرون إلى انتساب إنشاء الجامع إلى حسان بن النعمان الغسّاني، فاتح تونس وقرطاجنة، في حدود سنة ٧٩هـ (٦٩٨- ٦٩٩م)[٣٥].

---

(٣٤) المرجع سابق، ص ص ٤٩- ٥٠.

(٣٥)محمد العزيز عاشور، *جامع الزيتونة، المَعلم ورجاله*، تونس: دار سراس للنشر، ١٩٩١م، ص ٨.

وبجانب الأوقاف العظيمة التي أوقفت على الجامع، اشتهر هذا الجامع بوجود مكتبة عامة، احتوت على الكثير من الكتب، وقفت على الطلبة يقرؤونها، وينسخون منها، وعين لها متخصصون لمناولة الكتب، وإرجاعها إلى أماكنها، كما أسند الإشراف عليها إلى إمام الجامع[٣٦]. يذكر السّخاوي أن السلطان عثمان بن محمد بن عبد العزيز الحفصي المتوفى سنة ٨٩٣هـ "أنشأ الأبنية الهائلة والخزانة الشرقية بجامع الزيتونة وجعل بها كتباً نفيسة"[٣٧].

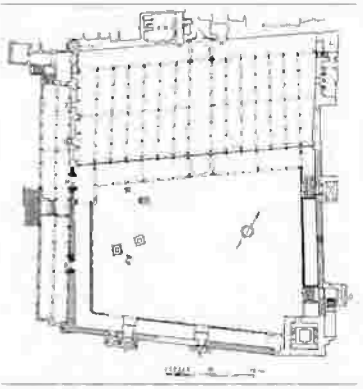

منظور عام وسط النسيج العمراني[٣٩]

المسقط الأفقي[٣٨]

الشكل رقم (٢,٤). جامع الزيتونة بتونس.

(٢,١,٦) جامع القرويين

يعد جامع القرويين من أهم الجوامع في تاريخ العمارة الإسلامية، (الشكل رقم ٢,٥). بنته السيدة فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني في مدينة فاس بالمغرب، وبدئ في

---

(٣٦)ياسين بن ناصر الخطيب، *أثر الوقف في نشر التعليم والثقافة*، مرجع سابق، ص ٣٠٢

(٣٧)يحيى محمود ساعاتي، *الوقف وبنية المكتبات العربية استبطان للموروث الثقافي*، مرجع سابق، ص ١٤٤.

(٣٨) عاشور، محمد العزيز، جامع الزيتونة، المَعلم ورجاله، مرجع سابق، ص ٨

(٣٩) المرجع السابق، ص ١١

بنائه في غرة رمضان سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م. وقد كانت الطريقة التي سلكها البناءون في البناء أنهم التزموا أن يأخذوا كل حاجاتهم من الرمال والحجارة من نفس البقعة دون غيرها، كما أنهم عثروا على عين ماء غزيرة تجاور الموقع الذي اختير لإقامة المسجد، وكان ذلك كله تحرياً من القائمين على عملية البناء كي لا تدخل في بناء المسجد شبهة، وظلت فاطمة صائمة منذ أن شرع في بنائه، إلى أن اكتمل وأقيمت الصلاة فيه[٤٠]. وقد رصدت لذلك الأموال لفعل الخير الذي يعود بالنفع الدائم على المسلمين. وظل الجامع على امتداد هذه العصور منبراً مشعاً وحصناً من حصون الدين والفكر والعلم، تخّرج منه على امتداد هذه القرون عشرات الآلاف من العلماء والمفكرين والمصلحين والدعاة الذين أسهموا في تنقية الفكر الإسلامي من الشوائب والخرافات والأباطيل، حيث كان علماؤه يحرصون على تعليم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفهمهما فهماً صحيحاً سليماً بعيداً عن البدع والغلو[٤١].

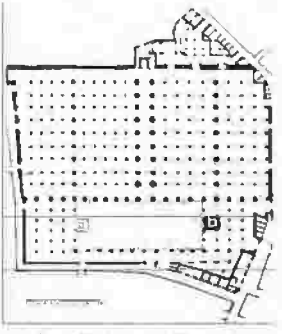

الشكل رقم (٢,٥). جامع القرويين – المسقط في عهد المرابطين[٤٢].

---

(٤٠) خفاجي، محمد عبد المنعم، الأزهر في ألف عام، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص ٢١٦.

(٤١)محمد الحجوي، "الوقف الخيري في المغرب قديماً وحديثاً وأثره الثقافي والاجتماعي والاقتصادي"، *مجلة أوقاف*، العدد٤، السنة الثالثة، الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، مايو ٢٠٠٣م، ص ٩٦.

(٤٢)عبد الهادي التازي، *جامع القرويين*، المجلد الأول، ط١، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٢م، ص٢٠٦.

وكان للمولى يحيى بن محمد بن إدريس الثاني بن إدريس الأول المتوفى سنة ٢٤٩هـ دوراً كبيراً في الإشراف على البناء بالطريقة التي جعلت منه صرحاً مغربياً إسلامياً. فهو يمثل العمارة الإسلامية المغربية في أصالتها وإبداعها وتفردها[٤٣].

وتطلب تزايد عدد السكان واتساع نطاق المدينة إدخال إصلاحات جمة على مباني القرويين القديمة، واستحداث مبان وأفنية جديدة ألحقت بها، فلم يكد ينقضي إلا نحو قرن حتى أصبحت مساحته أربعة أضعاف ما كانت عليه عند بنائه[٤٤].

ولما كثرت الأوقاف على الجامع، رؤي إنشاء مستودع للأوقاف سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م، ليوضع فيه مال الأوقاف وأحباسه، وكان الناظر المشرف على بنائه الفقيه أبو القاسم عبد الرحمن بن حميد، وقد حفر قاعدة المستودع ونحتها حتى وصل إلى الأرض الصلبة، ثم جصص الأرض بالرمل والجير، وجعل له فتحتين علويتين لإدخال الهواء، كما جعل للمستودع بابين؛ أحدهما من الخشب، والثاني ملبّس بالحديد على الوجه المحكم والعمل الوثيق[٤٥].

(٢,١,٧) جامع أحمد بن طولون

حدث أن شكا الناس إلى أحمد بن طولون ضيق جامع العسكر بهم، فبدأ في بنائه عام ٢٦٣هـ/٨٧٦م، وكمل بناؤه عام ٢٦٥هـ/٨٧٩م[٤٦]، الشكل رقم (٢,٦)، وقد جاء نص تشييد الجامع منقوشاً على لوح من الرخام مكتوب بالخط الكوفي البسيط "... بسم الله الرحمن الرحيم. أمر الأمير أبو العباس أحمد بن طولون مولى أمير

---

(٤٣)محمد الحجوي، "الجوامع والمدارس والزوايا والخزانات التي ازدهرت بمال الوقف في المغرب"، *مجلة أوقاف*، العدد٧، السنة الرابعة، الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، نوفمبر ٢٠٠٤م، ص ٩٦.

(٤٤)محمد عبد المنعم خفاجي، *الأزهر في ألف عام*، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص ٢٣٧.

(٤٥)عبد الهادي التازي، *جامع القرويين*، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ص ٧٦- ٧٧.

(٤٦)فريد شافعي، *العمارة العربية في مصر الإسلامية*، المجلد الأول، عصر الولاة، مرجع سابق، ص ٤٦٣

المؤمنين، أدام الله له العز والكرامة والنعمة التامة في الآخرة والأولى ببناء هذا المسجد المبارك الميمون، من خالص ما أفاء الله عليه[٤٧]، وطيبه لجماعة المسلمين، ابتغاء رضوان الله والدار الآخرة، وإيثاراً لما فيه تسنية الدين وألفة المؤمنين، ورغبة في عمارة بيوت الله وأداء فريضة وتلاوة كتابه ومداومة ذكره ..."[٤٨].

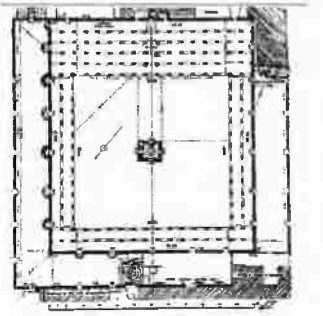

المسقط الأفقي[٤٩]

صحن الجامع[٥٠]

الشكل رقم (٢,٦). جامع أحمد بن طولون بالقاهرة.

وعن عمارة الجامع يقول شافعي: "ويتميز جامع ابن طولون بوضوح نضج كبير في جملة نواح معمارية وزخرفية، ويتجلى هذا النضج في حسن اختيار موقعه وتصميمه وأسلوب بنائه وطلاوة عناصره الزخرفية والمعمارية، مما جعل له شخصية ذات طابع محلي صريح، على الرغم من وجود تأثيرات ليست بالقليلة جاءت إليه من سامراء"[٥١].

---

(٤٧) اختلف المؤرخون حول المال الذي بني منه جامع أحمد بن طولون، فمنهم من ذهب إلى أنه من كنز وجده في صعيد مصر، ومنهم من قال أنه نفى ذلك وأقسم أنه من خالص ماله.

(٤٨) كامل إسماعيل، *دراسات أثرية، جامع أحمد بن طولون*، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ت)، ص ٦.

(٤٩) صالح لمعي مصطفى، *التراث المعماري الإسلامي في مصر*، مرجع سابق.

(٥٠) Hillenbrand, R., *Islamic Art and Architecture*, Thames and Hudson Ltd, London, 1999, p. 44

(٥١) فريد شافعي، *العمارة العربية في مصر الإسلامية*، المجلد الأول، عصر الولاة، مرجع سابق، ص ٤٦٨.

وقد شهد جامع ابن طولون حركة علمية مستمرة عن طريق العناية التي أولاها إياه الأمير علم الدين سنجر الدواداري نيابة عن الملك المنصور لاجين، وجعل إليه شراء الأوقاف على الجامع الطولوني، وصرف إليه كل ما يحتاج إليه في العمارة، فأزال كل ما فيه من تخريب وبلطه، ورتب فيه دروساً لإلقاء الفقه على المذاهب الأربعة، ودرساً يلقى في تفسير القرآن، ودرساً في الحديث، ودرساً في الطب[٥٢].

ومن النماذج الوقفية على ترتيب دروس في الطب في الجامع الطولوني بالقاهرة، ما جاء في نص وثيقة وقف حسام الدين لاجين، من ترتيب مدرس للطب، والوقف على هذا المدرس وعشرة طلبة يشتغلون بالطب "... رجلاً عارفاً بطب الأبدان مشهور المعرفة للأمراض والأدوية وهو القاضي الأجل الصدر الريس العالم الفاضل شرف الدين محمد بن المرحوم شهاب الدين أحمد بن أبي الحوافر الطبيب السلطاني يجلس بالجامع المذكور لإقراء الطب وتعليمه، ويرتب له من الطلبة عشرة يشتغلون بالطب ويلزمهم المدرس بحفظ ما يجب حفظه في الطب وعرضه وتصحيحه ويوضح لهم مشكلة ..."[٥٣].

(٢,١,٨) الجامع الأزهر

شيد الجامع الأزهر[٥٤] جوهر الصقلي، قائد جيش المعز لدين الله الفاطمي. وبدئ في إنشائه في ٢٤ جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ (٩٧٠م)، وتم بناؤه في عامين

---

(٥٢) يحيى محمود ساعاتي، *الوقف وبنية المكتبات العربية استبطان للموروث الثقافي*، ط١، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٨٨م، ص ٢١.

(٥٣) محمد محمد أمين، *الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م دراسة تاريخية وثائقية*، مرجع سابق، ص١٧١.

(٥٤) سمي الجامع الأزهر في البداية بجامع القاهرة، اسم العاصمة الجديدة، أما تسميته بالجامع الأزهر فقد جاءت متأخرة بعد إنشاء القصور الفاطمية في عهد العزيز بالله (٣٦٥- ٣٨٦هـ) التي أطلق عليها اسم

وبضعة أشهر، وافتتح للصلاة في يوم الجمعة السابع أو التاسع من رمضان سنة ٣٦١هـ (٩٧٢م)[٥٥]، (الشكل رقم ٢,٧).

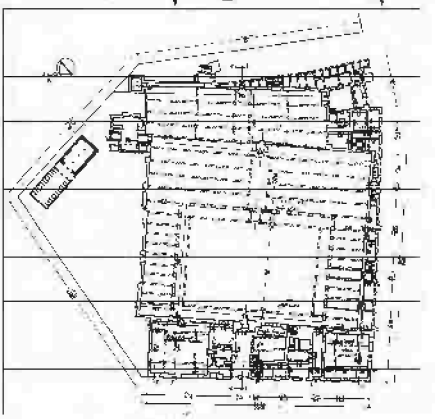

المسقط الأفقي[٥٦]

صحن الجامع الأزهر حالياً[٥٧]

الشكل رقم (٢,٧). الجامع الأزهر بالقاهرة.

وقال عنه المقريزي في خططه: "ولم يزل في هذا الجامع - الأزهر - منذ بني عدة من الفقراء يلازمون الإقامة فيه، وبلغت عدتهم في هذه الأيام - سنة ٨١٨هـ-

---

القصور الزاهرة ومن ثم أطلق اسم الجامع الأزهر، أو أنه سمي الجامع الأزهر تفاؤلاً بما سيكون له من مستقبل زاهر، ومكانة سامية بازدهار العلوم فيه، وإن كان المرجح أن هذه التسمية مشتقة من لفظ الزهراء لقب السيدة فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) ابنة رسول الله ﷺ، وزوج الإمام علي ﷺ، والتي نسبت إليها الدولة الجديدة، وسميت باسمها، وقد ظل المسجد الجديد يعرف بجامع القاهرة والجامع الأزهر، ثم تلاشى الاسم الأول مع الزمن وغلب عليه اسم الجامع الأزهر، واستمر يعرف بهذا الاسم إلى اليوم(عن: محمد عبد المنعم خفاجي، *الأزهر في ألف عام*، الجزء الثالث، ط٢، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٨م، ص ٢١٦).

(٥٥) محمد عبد المنعم خفاجي، *الأزهر في ألف عام*، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص ٢١٦.

(٥٦) مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، *أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة*، دراسة تحليلية على العاصمة القاهرة، ١٩٩٠م، ص٣٢.

(٥٧) http://www.sis.gov.eg/Ar/Arts&Culture/Archaeology/islamic/

سبعمائة وخمسين رجلاً ما بين عجم وزيالعة - نسبة إلى زيلع- ومن أهل ريف مصر، ومغاربة ولكل طائفة رواق يعرف بهم، فلا يزال الجامع عامراً بتلاوة القرآن، ودراسته، وتلقينه، والاشتغال بأنواع العلوم، والفقه، والحديث، والتفسير، والنحو، ومجالس الوعظ، وحلق الذكر، فيجد الإنسان إذا دخل هذا الجامع من الأنس بالله، والارتياح، وترويح النفس ما لا يجده في غيره، وصار أرباب الأموال يقصدون هذا الجامع بأنواع البر من الذهب والفضة والفلوس، إعانة للمجاورين فيه على عبادة الله تعالى، وكل قليل تحمل إليه أنواع الأطعمة والخبز والحلاوات ولا سيما في المواسم"[٥٨].

وكان السلاطين والأمراء يتبارون في الإنفاق على الأزهر وتخصيصه بوقفيات كبيرة، ولا تكاد تقرأ سيرة لأحدهم إلا وترى أثراً له في تجديد وترميم الأزهر. فقد جدده الحاكم بأمر الله وزوده بمجموعة من التنانير الفضية، ورتب له سنة ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م، مع بعض المنشآت الفاطمية الأخرى، أوقافاً ينفق من ريعها على إدارته وشئونه، فكانت أول وقفية رتبت للجامع الأزهر[٥٩].

وقد أمدنا المقريزي بنص وقفية الحاكم بأمر الله الفاطمي على الجامع الأزهر، التي تتضمن حبس بعض أملاكه من دور وحوانيت ومخازن لتنفق على الأزهر وجامع راشدة وجامع المقس ودار الحكمة، وأفرد لكل منها نصيباً خاصاً، كما عين رواتب الخطباء والمشرفين والأئمة، وخصص أحباساً للنفقة منها على فرش الجامع وتأثيثه بالحصر وإنارته بالقناديل والزيت، وعلى إصلاحه وإمداده بالماء. ولقد أسفرت تلك الوقفية عن العناية بهذا الجامع، ولا عجب فهو مسجد القاهرة الرسمي ومعقل الدولة

---

(٥٨)محمد عبد المنعم خفاجي، *الأزهر في ألف عام*، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص ص ٢٢٠- ٢٢١.

(٥٩)محمد عبد الله عنان، *تاريخ الجامع الأزهر*، ط٢، القاهرة: مؤسسة الخانجي، ١٩٥٨م، ص ٢٤.

الفاطمية، وفي الوقفية نرى وفرة عدد الأئمة والمؤذنين والخدام وكيف كانت تخزن سنوياً أدوات الإضاءة والبخور والنظافة والفرش، وخصه الواقف بالحصر المضفورة للفرش العادي والحصر العبدانية الفخمة التي تحل محل السجاد للحفلات، ونصت على العناية بتدعيمه وتقويمه إلى درجة بيع عين من الأوقاف المشتراة من فائض ريعه لترميمه(٦٠).

كما تبرع الأمير بيلبك الخازندار بإنشاء مقصورة كبيرة بالجامع، عين لها بعض الأساتذة لتدريس الفقه الشافعي والحديث النبوي ورتب له سبعة من القراء لتلاوة القرآن وحبس على ذلك أوقافاً جليلة. وتوالت أوقاف السلاطين والأمراء والكبراء على الجامع الأزهر خلال العصور الوسطى كما كانت تتوالى الأعطية والأرزاق الثابتة والمؤقتة لأساتذته وطلابه وكان من أجل أعمال البر وأشرفها أن يوقف القادرون من أملاكهم وضياعهم على دور العلم وبخاصة الجامع الأزهر، وكانت هذه الأوقاف ترتب إما بصفة عامة أو تخصص لأساتذة المذاهب والأروقة المختلفة وطلبتها، أو للإنفاق على تدريس مادة معينة ولا سيما علوم القرآن والحديث(٦١).

كما جدد عمارته الأمير سعد الدين بشير الجامدار، وكان يسكن على مقربة من الأزهر، فاستأذن السلطان في إصلاحه وقام فيه بعمارة شاملة، وأنشأ فيه دروساً جديدة للفقه الحنفي، ورتب لطلابه أطعمة توزع عليهم كل يوم، وأوقف على ذلك أوقافاً جليلة(٦٢).

---

(٦٠)محمد السعدي فرهود، *تاريخه وتطوره*، ط٢، القاهرة: الأزهر الشريف، ١٩٨٣م، ط٢، ص٣٢.

(٦١)علي سعيد إسماعيل، *الأزهر على مسرح السياسة المصرية*، القاهرة: ١٩٧٤م، ص ص ٦٤- ٦٥.

(٦٢)محمد عبد الله عنان، *تاريخ الجامع الأزهر*، مرجع سابق، ص ص ٢٥- ٢٦

بيد أن أعظم عمارة تمت للجامع الأزهر في العهد القديم، هي تلك التي قام بها الأمير عبد الرحمن كتخدا القازدغلي، في أواخر القرن الثاني عشر (الثامن عشر الميلادي)، فقد أنشأ بهواً كبيراً يشتمل على خمسين عموداً من الرخام تحمل مثلها من البوائك المقصورة في الناحية الشرقية القبلية من الجامع. وأنشأ للجامع محراباً ومنبراً جديدين. كما بنى في أعلاه مكتباً بقناطر معقودة على أعمدة من الرخام لتعليم القرآن للأيتام من الأطفال المسلمين. وأنشأ أيضاً بداخله رحبة متسعة وصهريجاً عظيماً، وأنشأ له داخل هذه الرحبة مدفناً عليه قبة معقودة، كما أنشأ بتلك الجهة رواقاً خاصاً لطلاب الصعيد. وجدد المدرسة الطيبرسية وجعلها هي والمدرسة الأقبغاوية داخل الجامع، وأنشأ فيما بينهما باباً عظيماً. كما أنشأ للجامع منارتين جديدتين؛ تقع إحداهما في الجهة الشرقية القبلية، والأخرى في الجهة الشرقية. ورتب الأمير للجامع وطلابه مرتبات وأطعمة كثيرة[٦٣].

ويرجع الاستقلال المالي للأزهر الذي كان يتمتع به في العصور السابقة إلى حصيلة الأوقاف التي حبسها عليه الخيّرون من أهل البذل ليؤدوا رسالته الإسلامية العربية نشراً وتعليماً، وكانت هذه الأوقاف تدر الخير على علمائه وطلابه وجعلتهم في غناء عن عون مالي تقدمه لهم الحكومة ويعتمدون عليه في معيشتهم. ويقرر جومار — أحد أعضاء بعثة العلوم والفنون التي صاحبت حملة بونابرت — أنه كانت للأزهر موارد مالية ضخمة وأن شطراً كبيراً منها ينفق على التعليم الجامعي الذي يمارس في رحاب الجامع وعلى تمويل المكتبة به[٦٤].

---

(٦٣) المرجع السابق، ص ص ٢٨- ٢٩.

(٦٤) سعيد إسماعيل علي، *الأزهر على مسرح السياسة المصرية*، مرجع سابق، ص٥٦.

(٢,٢) الخانقاوات

الخانقاة كلمة فارسية معناها دار للتعبد، وقد أقيمت أول خانقاة في الإسلام في حوالي ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م[٦٥]. وكانت الخانقاة تبنى على هيئة مسجد بدون مئذنة، ويحيط بها عدد من الغرف مخصصة لإقامة الفقراء، وعابري السبيل[٦٦]، والمتصوفة. وقد بدأ إنشاء الخانقاوات في القرن الخامس الهجري، وأوقفت عليها الأوقاف الكثيرة[٦٧]. ومع أواخر القرن ٧هـ/ ١٤م أصبحت الخانقاوات تؤدي وظيفة المسجد الجامع فأضيف لها منارة ومنبراً[٦٨].

كما بنى خسرو بك في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي في سراييفو خانقاة لأتباع الطريقة الخلوتية، التي كانت تجمع بين الإقامة والمطالعة الصوفية[٦٩].

ولا يختلف مسقط الخانقاة عن مسقط المدرسة إلا أنه في بعض الأحيان تعمل الخلوات في جناح منفصل، وذلك إذا اجتمعت المدرسة والخانقاة في مجموعة واحدة، مثل ما حدث في مدرسة وخانقاة برقوق بالنحاسين، حيث عملت الحشوات منفصلة في أربع وحدات سكنية خلف المدرسة بالجهة الغربية[٧٠].

---

(٦٥)صالح لمعي مصطفى، *التراث المعماري الإسلامي في مصر*، مرجع سابق، ص ٢٤.

(٦٦)محمد بن أحمد الصالح، *الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع*، مرجع سابق، ص ١٧٦.

(٦٧)محمد عبد الستار عثمان، *المدينة الإسلامية*، مرجع سابق، ص٢٤٣

(٦٨)محمد عبد الستار عثمان، نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة، مرجع سابق، ص١٦٦.

(٦٩)محمد الأرناؤوط، "وقفية مدرسة الغازي خسرو بك في سراييفو"، *مجلة أوقاف*، العدد١٣، السنة السابعة، الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، نوفمبر ٢٠٠٧م، ص ١١١.

(٧٠)صالح لمعي مصطفى، *التراث المعماري الإسلامي في مصر*، مرجع سابق، ص ٨٦.

(٢,٢,١) خانقاة فرج بن برقوق

كان صلاح الدين الأيوبي أول من أدخل نظام الخانقاوات إلى مصر، عندما حول دار سعيد السعدا إلى خانقاة، وأوقف عليها كثيراً من الأوقاف مثل بستان الحبانية بجوار بركل الفيل، وقيسارية الشراب، وناحية دهمرو بإقليم البهنساوية، وحمام الصوفية[٧١]. وكانت خانقاة الأمير علاء الدين أيدكين البندقداري الصالحي النجمي أول خانقاة من هذا الطراز[٧٢].

أما خانقاة فرج بن برقوق بالقاهرة، (الشكل رقم ٢,٨)، فقد بنيت في الفترة من ٨٠١- ٨١٣هـ/ ١٣٩٩- ١٤١١م. وكانت الخلوات التي يقيم فيها الصوفية في هذه الخانقاة عبارة عن حجرات صغيرة مفروشة ببلاط من الحجر الجيري ويفرش عليها حصير. وقد يحتوي بعضها على مسطبة يرتفع منسوبها عن أرضية الغرفة بدرجة واحدة. والخلوة لها سقف عبارة عن قبو نصف دائري، وتستعمل جلسات النوافذ المنخفضة كمسطبة للقراءة، وكان في الغالب توجد فتحة في أعلى الباب بها حاجز من الخشب الخرط، حتى تتم تهوية الغرفة مع ضمان عدم تعرض الجالس بالداخل لتيارات الهواء، هذا بجانب تهوية وإنارة الطرقة بين الغرف على جانبيها[٧٣].

---

(٧١)محمد محمد أمين، *الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م دراسة تاريخية وثائقية*، مرجع سابق، ص٦٢.

(72)محمد عبد الستار عثمان، *نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة*، مرجع سابق، ص١٦٦.

(٧٣)صالح لمعي مصطفى، التراث المعماري الإسلامي في مصر، مرجع سابق، ص ص ٢٨- ٢٩.

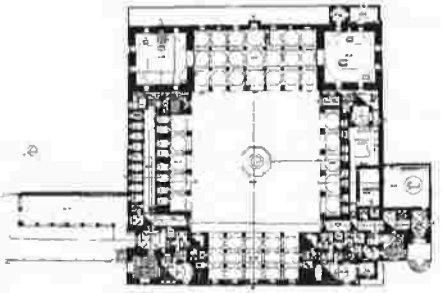

مسقط الطابق الأرضي[٧٤]

الخانقاة من الخارج[٧٥]

الشكل رقم (٢,٨). خانقاة فرج بن برقوق بالقاهرة.

وقد أوضحت وثيقة وقف السلطان برقوق شروط الالتحاق وطريقة المعيشة بالخانقاة. فنصت على أن يكون الصوفي مثقفاً وحكيماً وأميناً. ويفضل ألا يكون متزوجاً، وفي حالة تزوجه، عليه أن يترك سكنه في الخانقاة لغيره من غير المتزوجين، إلا أنه يسمح له بالانتظام في سلك التصوف. أما المتصوف المتزوج الذي يعمل كإمام فيسمح له بالمبيت بالخانقاة، ويمكن للصوفي غير المتزوج أن يقيم خارج المبنى في حالة

---

(٧٤) المرجع السابق.

(٧٥) عن موقع آثار مصر الإسلامية (http://www.cim.gov.eg).

عدم توفر غرف. ويسمح للصوفي بالمبيت خمس ليال منفصلة خارج المبنى وله إجازة ثلاثة أشهر في السنة. وقد سمح في الخانقاة بإقامة الصوفية من المذاهب الأربعة إلا أنه يرجح بأن كل مذهب كان يشغل جناحاً خاصاً[٧٦].

وقد تميزت الخانقاة بصورة معمارية جميلة في الهيئة الخارجية، حيث احتوت على الزخارف، بجانب العناصر المعمارية الأساسية الأخرى مثل المآذن والقبة.

(٢,٢,٢) خانقاة المؤيد

كانت هذه الخانقاة بمدينة الجيزة بجوار القاهرة، وقد ذكرها المقريزي تحت عنوان الخانقاة الخروبية، فحدد موقعها وأصل المكان الذي أقيمت عليه بقوله، هذه الخانقاة بساحل الجيزة تجاه المقياس كانت منظرة من أعظم الدور وأحسنها. وكان عدد الحجرات على جانب الدهليز الذي يلي المدخل عشر حجرات، يعادل عدد جماعة الصوفية المنقطعين للعبادة بالخانقاة[٧٧].

(٢,٣) الزوايا

الزاوية كالخانقاة، ولكنها أصغر من حيث المساحة، وتقام على الطرق، والأماكن الخالية، وقد تقام في أحد أركان المسجد، وكان هناك من يوقف عليها الأوقاف، وعلى مرتاديها من الفقراء، ويخصص لها شيخ لتدريس القرآن والعلوم الشرعية[٧٨].

---

(٧٦) المرجع السابق، ص ص ٢٦- ٢٨.

(٧٧)فهمي عبد العليم، *العمارة الإسلامية في عصر المماليك الجراكسة "عصر السلطان المؤيد شيخ"*، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٧٨)محمد بن أحمد الصالح، *الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع*، مرجع سابق، ص ص ١٧٦- ١٧٧.

وكانت في الغالب تابعة لمؤسسات أهلية أو شخصية أو غير مرتبطة بالطرق الصوفية، وانتشرت في مختلف المدن والقرى. وكانت الزاوية غالباً مقر رجل من الأتقياء أو الصالحين، يجمع فيها حوله جماعة من التلاميذ، وفيها مصلى ومكتبة وأمكنة لإقامة الزهاد أو العابدين المعتكفين[٧٩]. ومن ذلك زاوية الشيخ خضر التي أنشأها الظاهر بيبرس خارج القاهرة، وأوقف عليها أحكاراً تغل في السنة نحو الثلاثين ألف درهم، وأنزل بها الشيخ خضر بن أبي موسى المهراني العدوي[٨٠]. ومن الأمثلة أيضاً، زاوية ابن منظور، والتي قال عنها المقريزي: "هذه الزاوية خارج القاهرة بخط الدكة بجوار المقس عرفت بالشيخ جمال الدين محمد بن أحمد بن منظور بن إدريس، كانت له معارف وأتباع ومعرفة بالحديث، حدّث عن أبي الفتوح الجلالي وروى عنه الدمياطي ... ونظر في الفقه واشتهر بالفضيلة وكانت له ثروة وصدقات". كما كانت هناك زاوية الطحاوي، التي أنشأها أبو جعفر الطحاوي أحمد بن محمد بن سلامة، وجاء في حجة وقفها "أنه أرصد على هذه الزاوية والمقام والسبيل والحوض والساقية جهات منها ما إيراده من العثمانية المصرية في السنة سبعة وخمسين ألفاً وتسعمائة وستون عثمانياً مقيدة للدفتر الكشيدة بالديوان العالي، يصرف منها أجرة جمّال لحمل الماء من النيل إلى السبيل والزاوية كل يوم أربعين عثمانياً ولشيخ القراء والزاوية يومياً عشرة عثمانية، ... ولخادم السبيل ستة عثمانية يومياً، وللوقاد اثنان، ولثمن الزيت كذلك، ومعلوم الناظر ثلاثة، وللبواب كذلك، وللفراش اثنان، ...إلخ"[٨١].

---

(٧٩)عبد الكريم إبراهيم، "الأوقاف الإسلامية في فلسطين (المحددات العامة والأصول التاريخية)"، *مجلة أوقاف*، العدد٦، السنة الثالثة، الكويت: الأمانة العامة للأوقاف، يونيو ٢٠٠٤م، ص ٢١١.

(٨٠)محمد محمد أمين، *الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨- ٩٢٣هـ/١٢٥٠- ١٥١٧م دراسة تاريخية وثائقية*، مرجع سابق، ص٢٢٢.

(٨١)علي باشا مبارك، *الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة، الجزء السادس*، ط٢، طبعة جديدة، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ص ص ٤٨، ٤٩، ٩٣- ٩٤.

ومن أمثلة الزوايا في بلاد الشام؛ الأرموية، والرومية الشرقية، والحريرية، والحريرية الأعقفية، والدهستانية، والحصنية، والدينورية، والدينورية الشيخية، والسيوفية، والداودية، والسراجية، والشريفية التغاراتية، والطالبية، والوطية، والطيبية، والعمادية المقدسية، والغسولية، والفقاعية، والفرنثية، والقوامية البالسية، والقلندرية الدركزينية، والقلندرية الحيدرية، واليونسية، والعمرية، والصمادية، والسعدية[٨٢].

كما كان لهذه الزوايا دور كبير في الجهاد والحفاظ على أرض الإسلام من هجمة الصليبيين، وكانت أموال الوقف، وهبات المحسنين تمدها بالقدرة على الاستمرار والصمود؛ لأن الأمة كانت ترى في رجالها مزايا العلم والزهد والدفاع عن الثغور من الغزاة المعتدين[٨٣]. ومن أشهر الزوايا التي قامت بهذا الدور في المغرب؛ الزاوية الناصرية، في تامكروت، وقد أسسها محمد بن ناصر المتوفى سنة ١٠٨٥هـ، وكان فقيهاً عالماً. والزاوية الدلائية، ومقرها جبال الأطلس المتوسط، ومؤسسها الشيخ أبو بكر الدلائي، وكان عالماً متصوفاً ورعاً زاهداً مجاهداً، اجتمع حوله عدد كبير من العلماء ورجال الفكر وأهل الصلاح[٨٤].

---

(٨٢) للمزيد من المعلومات حول هذه الزوايا، أنظر بتوسع: الدمشقي، عبد القادر بن محمد النعيمي، *الدارس في تاريخ المدارس*، الجزء الثاني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م، ص ص ١٥٣- ١٧٣.

(٨٣) محمد الحجوي، *الجوامع والمدارس والزوايا والخزانات التي ازدهرت بمال الوقف في المغرب*، مرجع سابق، ص ١٠٣.

(٨٤) المرجع السابق، ص ١٠٣